أسلوب التَّقديم والتأخيرودلالته في مقامات الهمذاني

لمياء مدني محمد رحمة و حسن سوركتي و عثمان ابراهيم يحي
[1.2.3] جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا . كلية اللغات

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن مدى فائدة أسلوب التقديم والتأخير في خدمة المعاني التي أرادها الهمذاني، أو أراد إيصالها للمتلقي من خلال مقاماته، وتنبع أهمية الموضوع من أن التقديم والتأخير يبين مواضع الجمال والفصاحة في النص، كما يحدث لكون السياق يقتضي ذلك، لأنه لا يرد اعتباطاً في تأليف الكلام، وإنما يكون لغرض بلاغي، أو لغرض نحوي، لأن التقديم قد يكون ملزماً . فندرك مدى صحة الأسلوب الذي أخرج فيه النص، وموافقته لحال المخاطب، كما نتمكن من خلال التقديم والتأخير من الحكم على النص وتقويمه ووضعه في مكانه المناسب من حيث النصوص الأخرى.اتبعت الدراسة المنهج التطبيقي الوصفي التحليلي، ولم أحصِ كل النصوص التي ورد فيها التقديم والتأخير، وذلك لكثرتها، وإنما اخترت نصوصا فيها نوع من التميز، أو أغراض تكررت فأخذت منها نماذج.

الكلمات المفتاحية:*الرتبة . التركيب . السياق . الدلالة .*

ABSTRACT:

The study aimed at revealing the usefulness of the method of submission and delay in the service of the meanings desired by Hamthani or wanted to deliver to the recipient through its premises, stems from the importance of the subject that the submission and delay shows the positions of beauty and eloquence in the text, as happens because the context requires this, because it does not respond arbitrarily in the composition of speech. But for a rhetorical or grammatical purpose, since the submission may be binding, we appreciate the validity of the method in which the text was produced, and its consent to the situation of the interlocutor and we can through submission and delay to judge the text and evaluate it and put it in its proper place in term of other texts. The study followed the applied descriptive approach, and I did not count all the texts in which submission and delay were submitted, for many, but I chose texts in which a kind of excellence, or repeated purposes, I took samples from them.

Key words: *Grade – structure – context – indication.*

المقدمة:

يعد أسلوب التقديم والتأخير من الظواهر التي تميزت بها اللغة العربية، فهو من القضايا التي أولاها العلماء اهتمامهم بمختلف دراساتهم، فقد أفرد له عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بابا كاملا سماه (باب التقديم والتأخير) قال فيه :" هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان" (الجرجاني، 1992م ، ص106).

كما قال أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة، فصل في تقديم المؤخر وتأخير المقدم) :" العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره"(الثعالبي ،2000م،ص355) وهذا الأمر نفسه أشار إليه أحمد بن فارس، فقال:" من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدم" (ابن فارس، ص370.)

ولا شك أنه موضوع طويل ومتشعب يتعذر الإلمام بشتى جوانبه في بحث كهذا لذا وقع اختيار الباحث على التقديم والتأخير في مقامات الهمذاني.

نبذة عن منشئ المقامات:

الكاتب المترسل، والشاعر الجيد، قدوة الحريري، وقريع الخوارزمي ووارث مكانته، معجزة همذان، ونادرة الفلك، وفريد دهره رواية وحفظا، وغرة عصره بديهة وذكاء، أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني، منشئ المقامات بالإجماع، وهو يعتبر المبتكر الأول لهذا الفن الذي انتشر على نحو واسع كأحد فنون النثر في الأدب العربي.

وأهم مصدر يُرجع إليه في معرفة حياة "الهمذاني" ونشأته هو كتاب "يتيمة الدهر" لـ "الثعالبي" لأنه عاصره والتقى به وعرف أحواله. (ياقوت الحموي، 1980م، ص95).

نسب إلى همذان تلك البلدة الجبلية في إيران التي وُلد فيها في سنة ثمانية وخمسين وثلاثمائة للهجرة، الموافق سنة تسعة وستين وتسعمئة من الميلاد وأول من أطلق عليه اسم بديع الزمان الهمذاني هو الإمام أبو منصور الثعالبي.

من أهم أساتذته أبو الحسين أحمد بن فارس النحوي الذي كان له الفضل في إكمال تعليمه وإثراء تحصيله اللغوي.

أيضاً تتلمذ على يد الإخباري "عيسى بن هشام" وليس من الصدفة أن يكون "ابن هشام" بطل مقامته.

والهمذاني عربي النسب لقوله في إحدى رسائله إلى الوزير "الإسفرائيني" وزير "ابن سبكتين" فاتح السند والهند وهازم الدولة السامانية :"إني عبد الشيخ . يقصد أنه عبد للوزير . واسمي أحمد، وهمذان المولد، وتغلب المورد، ومضر المحتد" (الشيخ إبراهيم أفندي الأحدب ، ص98).

قبل أن يبلغ الأربعين توفي بشكل غامض، فقد قيل إنه مات بالسم، أو بالسكتة القلبية، وقد دفن حياً، فأفاق في قبره، وسُمع صوته في الليل، ولما نبشوا قبره وجدوه قد قبض على لحيته من هول القبر (د. زكي مبارك ، ص395) وكان ذلك في العام 398هـ الموافق 1007م.

من آثاره رسائل ومقامات وديوان شعر قصير متواضع يحتل المديح الجانب الأكبر منه. وقد عُني كثير من الأدباء على مر العصور بدراسة هذا الأديب الكبير، وشرح آثاره، والتعليق عليها، ولم يكن يعرف . وهو يعاني الفقر أو الطرد . أن ما أبدعه قلمه سيظل خالداً ما دام هناك من يتحدث العربية.

بديع الزمان الهمذاني يعد مبتكر فن المقامة بدون منازع، لذلك نجدها تمتاز بصفات مشتركة مع المقامات الأخرى، وقد تختلف معها في أخرى مثلا: عدد المقامات : إن العدد الذي عرفت به المقامات الهمذانية أنها تجاوزت الخمسمائة أملى أربعمائة مقامة بنيسابور غير أن كثيرا من الدراسات والكتب تنفي هذا العدد، حتى

أننا نجد "مصطفى الشكعة "يناقش هذه القضية عارضًا في ذلك أقاويل وآراء وفي الأخير يميل إلى ماذكره الثعالبي عددها أربعمائة واندثر منها أغلبها ولم يصلنا إلا القدر الصغير والبالغ الاثنين والخمسين مقامة.

إن أسلوب الهمذاني لايختلف عن أسلوب كتّاب المقامات لدى الآخرين فهو لايتوانى عن:

. الإكثار من الشعر بدرجة كبيرة إما اقتباساً أوإنشاء.

. الوصف وينقسم إلى قسمين بين العذوبة والتعقيد الشديد وبين الرقة والحلاوة .

. لجوؤه إلى السجع.

. الاعتماد على فن الإضحاك القائم على النكتة والحيلة.

أسلوب التقديم والتأخير في مقاماته:

لم يرد في المصادر القديمة من ذكر التقديم والتأخير اصطلاحًا، بل كانت هناك إشاراتإلى التقديم، وذلك ضمن تعريفهم لهذا الأسلوب، ذكر بعض العلماء كلامًا عن هذا الأسلوب، كقول العسكريّ: "وتجد اللفظة لم تقع في موقعها ولم تصل إلى مركزها ولم تتصل بسلكها وكانت قلقة في موضعها متأخرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها" (العسكري،1986م، ص140، 141.).

أما الجرجانيّ فقال: " أن تجد سببا إن راقك ولطف عندك إن قدّم فيه شيء وحوّل اللقط عن مكانٍ إلى مكان" (الجرجاني، ص82) فالجرجانيّ يرى أن التقديم، هو تحويل اللفظ من مكانه إلى مكانٍ آخر، لقد تحدث علماء البلاغة الذين جاءوا بعد الجرجانيّ عن التقديم وأغراضه دون الانتباه إلى التعريف بالموضوع قبل ذلك"(ابن الحاجب، 2003م، ص39)

اهتم النحاة بالتقديم الذي يمثل بؤرة الأسلوب الذي يدور حوله التركيب فيما يتعلق بترتيب الأجزاء داخل الجملة، وإن أي تغييرٍ يطرأ على الجملة من حيث تنظيم الكلمات أو ترتيبها ينبني على معنى، وهو ما يعنى به علماء النحو والبلاغة؛ إذ يحدث التقديم فيه طلبًا لإظهار ترتيب المعاني في النفس. ويرد التقديم لأغراض عدة منها السبق في الزمان، الاهتمام، الاختصاص، تقوية حكم وتأكيده ... الخ، وهذا التقديم يؤثر في توجيه الدلالة لتغيير السياق؛ لأن فضيلة البيان لا تعود إلى اللفظ من حيث اللفظ، وانما تعود إلى النظم وترتيب الكلام وفق ترتيب معانيه في النفس"(هديل عبدالحليم، ص 205)

والتقديم والتأخير صيغة جمالية تحقق أغراضاً دلالية للمنشئ لا تتحقق بالترتيب النمطي لأجزاء التركيب، وهو ميزة امتازت بها اللغة العليا، لغة القرآن الكريم، كقوله تعالى: "إياك نعبد" قدمت إياك على "نعبد" حيث قصرت العبادة لله سبحانه وتعالى. ويقول ابن فارس: "ومن سنن العرب تقديم الكلام، وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدم"(ابن فارس، 1977م، ص 412).

والعربيّة من اللغات التي لا تتخذ في ترتيب أجزاء تراكيبها ترتيبًا واحدًا، فمنها ما له رتب محفوظة، ومنها ما لم تحفظ اللغة رتبته، ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربيّ أن يتقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، ويتأخر البيان عن المبين والمعطوف بالنسق على المعطوف عليه، ومن الرتب المحفوظة أيضا تقدم حرف الجر على المجرور، والمضاف على المضاف إليه، والفعل على الفاعل أو نائب

الفاعل، ومن الرتب غير المحفوظة في النحو: رتبة المبتدأ والخبر ورتبة الفاعل على المفعول به، ورتبة الحال والفعل المتصرف ورتبة المفعول به والفعل"(تمام حسان، 2004م، ص 207).

من دواعي التقديم والتأخير، الاهتمام بالمقدم وإبرازه يأتي في المقام الأول، يقول سيبويه: "فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى الأول، وذلك قولك: ضرب زيداً عبد الله ... وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي ببيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعينانهم"(سيبويه،ص 34.)

والجملة العربيّة لا تتميز بالحتمية في ترتيب أجزائها، وما يعتري بنيتها من انزياح أو عدول عن الرتبة يعد خروجًا عن الوظيفة النفعية للغة إلى الوظيفة الإبداعية "الأدبية"، وليس معنى هذا أن التقديم والتأخير لا يخضعان لأي قيدٍ أو شرطٍ، إذ نجد للنحاة وجهة نظر معيارية قائمة على القول بالجواز أو عدم الجواز، بالصحة أو بالخطأ، والدليل على ذلك ما اهتدى إليه ابن جني؛ إذ يقول في شأنه وأنواعه: "وذلك على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار"(ابن جني، ص 382)

ويعرض بعد ذلك لسياقات التقديم والتأخير ووجوه ما يجوز وتقبله اللغة، وما لا يجوز وتأباه اللغة العربيّة، مع تأويل بعض ما خرج عن القياس وشذّ عن الأساليب العربيّة الفصيحة، مقدمًا شواهد شعرية مهمة، مؤيدًا مذاهبه في بعض مسائل الفصل بآراء العلماء الموثوق بهم، وينهي كلامه بقوله: "فهذه وجوه التقديم والتأخير في كلام العرب، وإن كنّا قد تركنا منها شيئاً، فإنّه معلوم الحال ولاحق بما قدمنا" (المرجع نفسه، ص 390.)

تمس الحاجة إلى مراجعته أن "المفعول إذا تقدم لزم الاختصاص"(العلوي، 2002م، ص66.)، وأن فائدة تقديم الجار والمجرور تقتصرعلى الاختصاص والمشاكلة ..."(المرجع نفسه ، ص40)

وأن فائدة التقديم والتأخير، على اختلاف ضروبه، تنحصر في "الاهتمام والاختصاص ومراعاة نظم الكلام" (ابن الأثير، ص 211)

1/ تقديم المسند إليه:

الجملة في العربية . على الأغلب . إما اسمية أو فعلية، وقد عبّر النحويون عن المسند إليه في الجملة الاسمية بالمبتدأ، وفي الجملة الفعلية بـ: الفاعل. ومرتبته التقديم على المسند في الاسمية والتأخير في الفعلية. وتقديمه تأخير المسند. وإذا عدل عن هذا الأصل شرط الإفادة وأمن اللبس. فلغرض بلاغي في نفس المنشئ ولإثارة المتلقي؛ لأن كل شيء يخالف الشائع والمتداول هو أكثر إثارة وفهما للمتلقي من الفهم المألوف.

أولا: تقديم المبتدأ:

وهنا نتناول الأغراض البلاغية لتقديم المسند إليه في الجملة الاسمية "المبتدأ" على المسند "الخبر" وهي في جملتها لا تخرج عن سبعة أغراض، هي التأكيد والتعظيم والتشويق إلى ذكر المسند، كي يتمكن الخبر في ذهن السامع، والتخصيص، والتقديم لأنه الأصل، وإيهام أنه لا يزول عن الخاطر، والتعجب من المسند إليه وإنكاره.

مواضع تقديم المبتدأ:

أ. **إذا كان المبتدأ مما له صدارة الكلام:** مثل:

أسماء الاستفهام: ومنه قول الهمذاني:

" **مَن الذّي مَلكَ أسْوَارَها**"(الهمذاني،2011م، ص21.)

الهاء في قول الهمذاني في كلمة "أسوارها" تعود إلى الدنيا؛ والتقديم هنا للتعظيم.

مَن الرَّاكِ بُ الجَهيُر الكلامِ الُمحَيِّي بتَحيَّة الإِسْلام؟ (المقامة الغيلانية، ص35).

أيضا "من " من ألفاظ الصدارة واجبة التقديم في الجملة.

أبَ لَدِيٌّ أنْتَ أم عَشيريٌّ (المقامة الشيرازية، ص159).

الاستفهام بالأداة الهمزة لها الصدارة في الجملة، والغرض منه التعجب من المسند إليه.

ب. إذا تساوى المبتدأ والخبر في التعريف والتنكير دون وجود قرينة تثبت المراد، مثل:

هَذاالزَّمان هَشُوم ...كَماتَراهُ غَشُوم

والَمال طَيْفٌ، ولكِنْ ... حَوْل اللئَا م يحوُم (المقامة الساسانية، ص75.)

نجد أن المبتدأ "هذا" معرفة لأنه اسم إشارة، والخبر "الزمان" معرف بالألف واللام، فهما متساويان في التعريف لذلك تقدم المبتدأ وجوبا.

وَالبَ لاغة يَ أُمُوهَ ا فتُطيعُ هُ (المقامة القريضية، ص15)

الأصل: يأمر البلاغة فتطيعه، قدم المبتدأ عناية واهتماما به، فالمراد في هذا النص بيان مكانة الشاعر ومدى فهمه واستيعابه للبلاغة.

طِينَتُها طِينَتِي، وَمِينَتُها مَينَتي، وَعُومَتُها عُومَتِي، وَأُرومَتَها أُرومَتي، (المقامة المضيرية، ص86.)

في الجمل السابقة جاء الخبر مشتملا على ضمير يعود على المبتدأ وهو "المرأة" التي وصفها صاحب المقامة مشيرا إليها ومخبرا عنها، وفي ورود جمل الخبر المتممة للمبتدأ اكتمل المعنى.

وَالُمدبِر يَ حسْبُ النَّسيَّة عَطيَّة، والُمتَخَلِّفُ يَ عُدَّهَا هَديَّة، (المقامة المضيرية، ص90.)

قد يأتي الخبر جملة اسمية أو فعلية، إلا أن الملاحظ عند الهمذاني هو ورود الأخبار جمل فعلية بصورة أكبر.

نلاحظ في الجملتين السابقتين تقدم المبتدأ، وأخبار الجمل السابقة جاءت جمل فعلية "يحسب . يعتدها" حيث جاءت تخبر عن حال المبتدأ: "المدبر . المتخلف".

وَالسَّعَادَة تُنبط الَماءَ مِنَ الحجَارَة، (المقامة المضيرية، ص91.)

لازال الخبر متكررا بذات الطابع، وهو طابع الجملة الفعلية، والمبتدأ هنا "السعادة" اسم معرّف بالألف واللاموقد أثبتت به الجملة. وجاء الخبر "تنبط" عن سياق الجملة الفعلية، مما يدل على كثرة استعمال الهمذاني لجملة المبتدأ والخبر مع مجيء الأخبار جمل فعلية.

فقِيٌر كدَّهُ الجوعُ وَغَرِيبٌ لايُمكِنُهُ الرُّجُوعُ ، (المقامة المجاعية، ص112.)

الملاحظ في الجمل السابقة أن المبتدأ محذوف وتقديره "هو" . وأصل الكلام "هو فقير كده الجوع" وهذا الجانب يرتبط بالبلاغة ويتعلق فيها بجانب الحذف، والغرض منه في الجملة السابقة هو

التركيز على الخبر باعتباره يحمل صفات المبتدأ. وبما أن الإيجاز يمثل قمة البلاغة فلا سبيل لنا لإنكار بلاغة الهمذاني الموصوف بالفصاحة والبلاغة والبيان.

اَلمجْد يُخْدَعُ باليَد السُّفْلى .ويَدُ الكريم وَرَأْيُهُ أَعْلَى (المقامة الصفرية، 272)

جاء المبتدأ أصلاً في الجملة، وجاء الخبر جملة فعلية دالة على مجيء الأخبار في سياق الجمل الفعلية. وجملة المبتدأ والخبر هنا جملة مكتملة الأركان متلائمة مع بعضها البعض.

2/ تقديم المسند:

رتبة المسند التقديم على المسند إليه في الجملة الفعلية، إلا أن قواعد العربية تجوز تأخيره، حيث "يجوز أن يتقدم الفاعل على الفعل(شرح التصريح على التوضيح، ص397) فإذا ما تفنن المنشئ المبدع في تحريكه تقديما وتأخيرا، فلغرض يقصد إليه قصدا.

أما في الجملة الاسمية فإن مرتبة المسند التأخير عن المسند إليه وقد يتقدم لمرام دلالي هو تخصيصه بالمسند إليه، إذا جوزت هذا التقديم قواعد اللغة وليس التقديم الذي يوحيه" (من بلاغة النظم العربي، ص264) وقد أفاد الهمذاني من هذه الحرية التي أعطتها قواعد العربية لتحقيق أغراضها الفنية والدلالية حيث كثر في مقاماته تقديم المسند، فعلا وخبرا ليكون بذلك ظاهرة أسلوبية بارزة. حيث قدم المسند فعلا ذلك لأن الفعل يبعث في النص حركة وتجددا يعكس الاسم الذي يثبت المعنى للشيء ومنه:

أولا: تقديم الخبر:

ورد تقديم الخبر عند النحاة وذكروه في غير ما موضع، فقالوا: إن تقديم الأعرف هو الأصل ويقصدون هنا المبتدأ، ويتأخر الأقل تعريفاً ليكون خبرًا إلا أن هذه القاعدة ليست ثابتة (من بلاغة النظم العربي،ص88) يتقدم الخبر لغرضٍ بلاغي أو لسياق الكلام، وذلك لأغراض منها: التخصيص والتنبيه على أنه خبر لا نعت، والتعجب منه، والتعجيل بالمسرة،ولتقديم الخبر على المبتدأ مواضع أيضا نذكر منها مع التطبيق في مقامات بديع الزمان الهمذاني:

أ. **إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة**، مثل قول الهمذاني:

إنَّ لله عَبيدًا... أَخَذُوا الْعُمْرَ خَلِيطًا (المقامة البلخية، ص18)

الأصل في الجملة أن تكون "إن عبيدا لله"، ونلاحظ أن الجار والمجرور شبه الجملة مقدم على اسم إن "عبيدا" اسم إن نفسه نكرة، وتقديم الجار والمجرور هنا يفيد تخصيص الجنس، أي أن العبيد لله وحده لا سواه.

لكَ دِرْهَمٌ في مِثْلِهِ ... مَادَامَ يُسْعِفُني النَّفَسْ (المقامة الأسدية، ص34)

الأصل في الجملة السابقة "درهم لك" ونلاحظ أن الجار والمجرور تقدما على المبتدأ النكرة أي أن الدرهم لك دون غيرك وفي الجملة نوع من الحصر أي ان الدرهم محصور عليك لا يتخطاك إلى غيرك وهو ما يعرف بالتخصيص.

وفِينَا مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُم .وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ والْفِعْلُ.

المتقدم فيما سبق هو الجار والمجرور وأصل الكلام "مقامات فينا" ومصوغ التقديم هنا هو أن المبتدأ نكرة لذلك تقدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ.

ب. **إذا كان الخبر مما له الصدارة كبعض أسماء الاستفهام**، مثل:

فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ فَمَتَى الْعَوْدُ؟

كَمْ يَحِلُّ نَوَالُكَ؟

فَكَيْفَ شُكْرُ اللهِ عَلَى النِّعَمِ بِكَ؟

أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الحِيلَةِ؟

في الجمل السابقة التقديم واجب لأن الأدوات المقدمة في الجمل السابقة هي أدوات مع الصدارة في جملتها وبما أنها تتصدر الجملة فأمر تقديمها أمر واجب وهو أن يكون في أدوات الشرط والاستفهام كما هو واضح في الجمل السابقة.

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ... إِذَا النِّيرَانُ أُلْبِسَتِ القِنَاعَا

الأصل في الجملة السابقة "نار له" لكنها وردت بصيغة مختلفة وهي "له نار" وقد تقدم الجار والمجرور وهو جملة الخبر على المبتدأ النكرة والغرض هنا هو جعل النار ونسبتها له دون غيره، ففيها تخصيص.

لَكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدٍ ... وَبِالحِجَازِ نَهَارِي.

الملاحظ في الجملة السابقة هو عدم اتفاق الجزء الأول منها مع جزئها الثاني فالأصل فيها أن تكون "بنجد ليلي وبالحجاز نهاري".

لِلهِ غَفْلَةُ قَوْمٍ ... غَنَمْتُهَا بِالْهُوَيْنَا!

الصحيح هو "غفلة قوم لله " وتقديم الجار والمجرور فيه دلالة واضحة على تخصيص الملك الخاص بالله دون غيره.

وَأَخَذْتُ عَلَيْكُمُ الحُجَّةَ .... حَتَّامَ إِلَى الحَيَاةِ رُكُونُكَ، وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا سُكُونُكَ؟

المتقدم هو الخبر الواقع في موقع شبه الجملة ونوع شبه الجملة هو الجار والمجرور وعادة ما يكون تقديم الجار والمجرور الواقع خبر في مقام الجملة التي يكون فيها المبتدأ فيها نكرة.

3/ تقديم المفعول به:

النسق المعهود لتركيب الفعل "الجملة الفعلية" في اللسان العربي هو أن يتأخر المفعول به عن الفعل والفاعل، وإذا ما قدم لأهميته وللعناية به فإنه "عربي جيد"(سيبويه،ص34) أي أن السنن اللغوية تجوزه، ويكثر تقديم المفعول به في اللغة الإبداعية لغرض بلاغي وإشارة للتجانس الموسيقي يقول ابن جني :"والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن الكريم وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر (ابن جني، ص297)، ومنه قوله تعالى :"ثم الجحيم صلوه" (سورة الحاقة، آية30) حيث قدم الجحيم غلى التصلية. أي "لا تصلوه الجحيم" وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على ناس".(الزمخشري، ص60008) ومن أسلوب الهمذاني في مقاماته تقديم المفعول به على الفاعل أو على الفعل والفاعل، كقوله:

طَرَحَتْ نِي النَّوى مَطارَحَها

تقديم جملة المفعول به لا يكون لطبوهذا ما يتعلق لأن الترتيب الطبيعي للجملة هو مجيء الفعل ثم الفاعل وأخيرا المفعول به وفي الجملة السابقة تقدم المفعول به ع الفاعل والغرض من هذا التقديم ف اللغة هو غرض واحد وهو التعميم بالمفعول به.

وَرُفْقَةٍاتَّخَذَتْهَا صَحَابَةً،

المقدم هنا هو المفعول به لأن أصل الجملة "اتخذت رفقة" والجملة هنا خرجت عن النظام المألوف والغرض للعناية والاهتمام به، وتقديم المبتدأ تأكيدا وتقوية لاتخاذه الرفقة صحابة له.

خَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مَغْنًى.

الأصل في الجملة السابقة "خرق صوت سمعي" والسمع مفعول به والصوت فاعل وتقدم المفعول به على الفاعل وأصبحت الجملة "خرق سمعي صوت" ومن الملاحظ أن المتقدم هو المفعول به وتقديم المفعول به على الفاعل أمر يدل على البلاغة والتمكن في الكلام والغرض الوحيد هو التعميم.

.لا وَلَكِنَّنِي أَبُو الْعَجَائِبِ، عَايَنْتُهَا وَعَانَيْتُهَا، وَأُمُّ الْكَبَائِرِ قَايَسْتُهَا وَقَاسَيْتُهَا

"أبو"و"أم" وقعتا في موقع المفعول به وتقدمتا علىفاعلهما وتقديم المفعول به هنا واضح، والغرض منه إظهار الاهتمام.

بَلِغْ هَذِهِ الْأَرْضَ كَيْدَكَ، وَانْتَهِي إِلَى هَذَاالشِّعْبِ صَيْدَكَ؟

أصل الكلام "بلغ كيدك الأرض" فالأرض هنا مفعول به تقدم على الفاعل وتقديم المفعول به على الفاعل وارد وموجود في صياغ اللغة والكلام والغرض هو التعميم كما ذكرنا آنفا.

أباللهِ وَآياتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِئُونَ؟.

أصل الكلام "تستهزءون بآيات الله" تقدم المستهزئ به الذي هو في مقام المفعول به وهو الآيات أي تستهزءون بعامة آيات الله ومجملها.

4/ تقديم شبه الجملة:

من المعلوم أن لابد لشبه الجملة من التعلق بفعل أو بما يشبهه وإن لم يكن مذكورا قُدر، ورتبة المتعلق التأخير، وهي من الرتب غير المحفوظة في اللسان العربي حيث تجوز قوانين العربية أن يتحرك المتعلق أفقيا تقديما وتأخيرا نتيجة التفاعل الذهني الداخلي للمنشئ، ولأغراض إبداعية تضفي الشعرية على المنتج المبدع، وتؤدي إلى تنوع الناتج الدلالي للنسق اللغوي.

وتقديم شبه الجملة من أكثر الظواهر الأسلوبية بروزا في مقامات الهمذاني، ظرفا، أو جار ومجرور . كقوله:

أما تَرَوْنِي أَتَغَشَّى طِمْوا ... مُمْتَطِيًا فِي الضُّرِّ أَمْرًا مُرًّا

أصل الجملة "ممتطيا أمرا في الضر" وشبه الجملة هنا هي الجار والمجرور لأن الجار والمجرور من أشباه الجمل

مُضْطَبِنًا عَلَى اللَّيَالِي غِمْرًا ... مُلَاقِيًا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرًا

ضَرْبتُ لِـلسَّرا قِبَـابـًا خُضْرا ... فِـي دَارِ دَارَا وَلِوَانٍ كِسْرَى

الأصل فيها "ضربت قباباً خضراًللسرا" تقدم الجار والمجرور ليصبح التقديم "ضربت للسرا قباب خضرا" والمعروف أن الجار والمجرور تعتبر من أشباه الجمل.

فِي حُجْرَتِهَا عَيْنٌ كلِسَانِ الشَّمْعَةِ

الأصل: عين كلسان الشمعة في حجرتها" فقد سلم سياق الجار والمجرور في غير منزلته الأصلية الذي كان عرضة إليه وذلك بفضل الاسم في نفس الوقت بمنزلته القوية في الجملة.

أنَا فِي الحَقِّ سَنَّام.أنَا فِي البَاطِلِ غَارِبْ

أصلها "أنا سنام في الحق وأنا في الباطل غارب" والمتقدم هنا شبه جملة متعلق بالجار والمجرور.

وَأنْتَ عَلى الدُّنْيا مُكِبٌّ مُنافِسٌ ... لِـخُطًّا بِها فيها حَرِيصٌ مُكاثِرُ

أصل الكلام أنت "مكب منافس على الدنيا" وتقدم الجار والمجرور ... والتقديم هنا يتعلق بنوع معين من الكلام وهو شبه الجملة الواقع في مقام الجار والمجرور.

النتائج :

جاء هذا البحث متناولا بالدراسة والتحليل فنا من فنون البلاغة، وكنزا من كنوز البيان، هو فن التقديم والتأخير الذي تناولته بالتحليل في مقامات الهمذاني، فعرفته عند اصطلاح العلماء، ودواعيه وفوائده في الجمل، كما أزحت الستار عن دقائق أسراره في مقامات بديع الزمان الهمذاني.

والهمذاني استعمل التقديم والتأخير استعمالاً رائعاً، ظهرت روعته وجماله في أنه خدم المعاني الأصلية خدمة عظيمة أدت الأمر المناط بها أحسن تأدية وأكملها.

مناقشة النتائج:

إن التقديم والتأخير ورد في مقامات الهمذاني لأغراض معينة، فالتفنن في أساليب التقديم والتأخير يلاحظ أنه في المقامات إنما جاء لخدمة معانٍ غاية في الروعة، ويبين لماذا انحصرت الأغراض البلاغية في أمور معينة منها: التأكيد، والتعظيم، والتلذذ بذكر المقدم، ولأنه الأصل. وهذه الأغراض البلاغية دارت في أغراض أصلية من أجلها قُدم المقدَّم.

ومن ناحية أخرى كان لاستعمالها أثر بالغ في النفس، في تقريب المعنى للذهن، وتكثيره، والمبالغة في إثباته، أما الأغراض البلاغية من حيث نسبة الأمثلة والنماذج فيها فيلاحظ أن تقديم المسند إليه على المسند هو الأكثر من حيث عدد النصوص.

المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، ضياء الدين، (د.ت)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ج 2.
2. ابن الحاجب: أبو عمرو عثمان بن عمر، (1982م) الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق وتقديم: موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ج1.
3. ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة.

4. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (د.ت) الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة مكتبة دار إحياء الكتاب العربية، مصر.
5. أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني،(2011م)، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني"، "شرحها ووقف على طبعها: محمد محيي الدين عبد الحميد"،" دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة"،ط1.
6. الأحدب، الشيخ إبراهيم أفندي، كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، بيروت، دار التراث.
7. الثعالبي، الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل تـ (430)، (1420هـ ، 2000م) فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق: يس الأيوبي، مطبعة المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
8. الجرجاني، الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد تـ (471هـ)، (1413هـ، 1992م) دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
9. الحموي، ياقوت (1980م)، معجم الأدباء، ج1، ط3، بيروت، دار الفكر.
10. العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (1986م) كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
11. العلوي، (2002م) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ، ج 2.
12. حسان، تمام، (2004م) اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط4،
13. داود، هديل عبدالحليم، مسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 9، العدد 4.
14. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج1.
15. مبارك، د. زكي، النثر الفني في القرن الرابع، المكتبة المصرية، جرا، بيروت.